التراث الثقافي والهوية

حمدان طه*

التراث الثقافي هو مزيج من كافة العوامل المكونة لنا كأفراد وجماعات وفي النطاق الأوسع كأمة ومجتمع. يعتبر التراث الثقافي أحد مكونات الهوية الحضارية للشعب الفلسطيني، فهو نتاج طويل لخبرات وتجارب الأجيال السابقة التي ورثها جيلنا الحالي. ومثّل التراث الثقافي أحد ميادين الصراع الأيديولوجي الرئيسة في فلسطين. ويتضح ذلك من خلال الاستغلال الواسع لنتائج علم الآثار من قبل الحركة الصهيونية لتبرير الادعاءات الأيديولوجية على أرض فلسطين وتقويض حقوق الشعب الفلسطيني في تاريخه وأرضه. وجاء اختلاق إسرائيل القديمة معادلا موضوعياً لمحاولة إسكات التاريخ الفلسطيني وتجريد الشعب الفلسطيني ليس من أرضه فقط وإنما من تاريخه أيضاً. ومن اجل تأكيد روايتها المختلفة لجأت الحركة الصهيونية إلى تدمير الرموز الثقافية للشعب الفلسطيني ومحاولة إدعائها والاستيلاء عليها. في إطار سعيها لإحلال تاريخي كلي.

وعلى مدار أكثر من قرن من العمل الأثري ارتسمت ملامح تاريخين لأرض واحدة، ورغم عظم المحاولات المبذولة والتي اتخذت شكل إلغاء منهجي للوجود الفلسطيني من خلال تدمير مدنه وقراه والاستيلاء على أرضه وبيوته، وشطب اسم فلسطين من الخرائط والأطالس وكتب التاريخ، فقد بقي الشعب الفلسطيني على جزء من أرضه مستعيدا كيانيته من جديد. ولا شك أن التراث الثقافي لعب دوراً حاسما في الحفاظ على الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني في الداخل وفي الشتات. وحافظ الشعب

* وكيل مساعد في وزارة السياحة والآثار.

الفلسطيني على ألق ذاكرته التاريخية كنتيجة لارتباطه الثقافي والروحـي التلقائي بأرضه.

وقد مثل النشاط الثقافي في العقود الأربعة الأخيرة بداية دور فلسطيني فاعل في الحفاظ على تراثهم الثقافي، وعودة رسمية للتـاريخ بعـد فـشل محاولات النفي التاريخي السابقة، وبدأ الفلسطينيون يعيدون كتابة تاريخهم من مصادره الأولية متسلحين برؤية شمولية للتاريخ الحضاري الفلسطيني تنطلق من اعتبار أن جميع أشكال التراث الثقافي بغض النظر عن بعـدها الديني أو الاثني، تشكل جزءاً لا يتجزأ من الـذاكرة التاريخيـة للـشعب الفلسطيني. كما وتنطلق من الإدراك بان التراث الثقافي باعتبـاره ممـثلا لتاريخ الشعب الفلسطيني وهويته. وتأكيد دوره في بناء الأمـة والمجتمـع وتعزيز مفاهيم التسامح واحترام التنوع الثقافي. ويعتبر التـراث الثقـافي والطبيعي في عالم اليوم أحد مصادر التنمية الدائمة. وفي فلسطين يـشكل التراكم الحضاري الطويل على مدار أكثر من مليون سنة والتنوع الفريـد للثقافات على هذه البقعة الصغيرة مصدراً مهماً للتنمية.

وفي سياق بناء الهوية الثقافية لا بد من خلق حس تـاريخي مـشحون بالثقة بالنفس وعامر بالحقائق بعيداً عن كل أشكال التعـصب والتطـرف. ويأتي دور التراث الثقافي كعنصر توحيدي للأمـة قـائم علـى المفـاهيم الأساسية للاحترام المتبادل والتسامح والحرية. ولا بد مـن خلـق سـبل التفاعل الايجابي مع قطاعات المجتمع المختلفة من خـلال نـشر الـوعي بالتراث الثقافي.